... لا حَاجَةَ لنا في طَعَامِك...

في شهر ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة خرج الرسول ﷺ ومعه المسلمون إلىٰ مكة المكرمة بنيّة العمرة.

وكان تعداد المسلمين قرابة ألفين ، ولما وصلوا إلىٰ ذي الحليفة أحرموا ، ثم راحوا يُلبّون ، وكانوا يسوقون أمامهم الهدي.

وحين دخل الرسول ﷺ مكة ، دخلها وعبد الله بن رواحة رضي الله عنه آخذٌ بخطام ناقته ، وهو يقول:

خلّوا بني الكفار عن سبيله ... خلّوا فكلّ الخير في رسوله
يا رب إني مؤمنٌ بقيله ... أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم علىٰ تأويله ... كما قتلناكم علىٰ تنزيله
ضرباً يُزيل الهام عن مقيله[1] ... ويُذهل الخليل عن خليله

فقال عمر رضي الله عنه: يا ابن رواحة إيهاً!.

فقال رسول الله ﷺ: «يا عمر، إني أسمع» ، فأُسكت عمر ، فقال رسول الله ﷺ: «إيهاً يا ابن رواحة!».

ثم قال صلوات الله عليه: «قل: لا إلٰه إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده» ، قال: فقالها ابن رواحة ، فقالها الناس كما قال[2].

---

(١) أي: يُزيل الرأس عن موضعه.
(٢) طبقات ابن سعد: ٢/ ١٢١ ، سنن الترمذي: ٥/ ١٣٩.

ثم دخل الرسول صلوات الله عليه المسجد الحرام ـ ومعه المسلمون ـ من باب بني شيبة ، بينما خرج رؤساء المشركين إلىٰ جبل قعيقعان.

ثم طافوا بالبيت ، واستلموا الحجر الأسود ، بينما كان عبد الله بن رواحة يقول:

يـا رب لـولا أنـت مـا اهتـدينـا ولا تصـــدّقنـــا ولا صلّينـــا
فـــأنـــزلـــن سكينـــةً علينـــا وثبّـــت الأقـــدام إن لاقينـــا
إن الألـــىٰ وقـــد بغـــوا علينـــا وإن أرادوا فتنـــــةً أبينـــــا

ثم نحر المسلمون الهدي بالمروة ، وتحلّلوا ، ثم أقاموا في مكة ثلاثة أيام ، فأرسل أهل مكة إلىٰ رسول الله ﷺ: إنه قد انقضىٰ أجلُك فاخرج! فقال صلوات الله عليه: «وما عليكم لو تركتموني فأعرسْتُ بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه» ، قالوا: لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا ، فخرج[1].

أجل يا رسول الله!.

هكذا يكون التعامل بين القائد وجنوده ، فهو لم يكن ليجلس في برجه العاجيّ ، ليعطي الأوامر ، إنما كان واحداً منهم ، يعيش معهم آلامهم وأحلامهم ، وطموحاتهم ، و....

* * *

(١) تاريخ الطبري: ٣/ ٢٥ ، دلائل البيهقي: ٤/ ٣٣.